سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

(مقالات المشرف)

بعض المغالطات والأغلاط في تقرير مركز صواب حول السلفية

د. محمد بن إبراهيم السعيدي

salaf center
جوال سلف : 009665565412942

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد نشر مركز صواب للبحوث والدراسات الذي يتَّخذ من الإمارات العربية المتّحدة مركزًا له بحثًا بعنوان: (السلفية والتطرّف، بحث في أسباب انتشار التشدد الديني)، وصدقًا أقول: إنني كنت أنتظر من هذا البحث أن يدُلَّنا على ما لا نعرف من أسباب التشدّد الدينيّ، ويكونَ عونًا للمسؤولين على اتّخاذ ما يناسب من قرارات تكون عونًا على القضاء على التطرف الديني؛ كي يعيشَ العالم وهو في قدرته التامة للتفكير في الدين الصحيح، وتعيش سياساتُه -ولا سيما في العالم العربي والإسلامي- وهي بمنجاة من الصراع مع أناس ليس لهم من مادة علمية يرتكزون عليها سوى ادِّعائهم الانتماء إلى مناهج هي في الحقيقة أبعدُ ما تكون عن الرضا بما يصنعون، وهم في الحقيقة من أبعد الناس في رؤاهم المتطرّفة عنها.

ضبابية التعريف وهشاشة المصطلح:

كان ينبغي على الباحثين أن يعرِّفوا السلفية تعريفًا دقيقًا، سواءً اتَّفقنا معهم فيه أم اختلفنا، بحيث يصير تعريفًا يمكن للقارئِ أن يُقَيِّم البحثَ من خلاله، لكنَّ الباحثين لم يفعلوا ذلك؛ بل قدَّموا انطباعًا خاصًّا بهم وكأنّه تعريف؛ وهذا يخالف مناهجَ البحث العلميِّ الذي يُفترَض أن يُفضي إلى نتائج قد يؤمِن البعض بها نتيجةً لكونها صادرةً عن بناء صحيح من الناحية البحثية، فيقول في

انطباعه ذلك: (السلفية منهج من مناهج تفسير الإسلام السني بطريقة تتعارض مع الوضع الديني والاجتماعي والسياسي الراهن في البلدان الإسلامية)، ويقول أيضًا: (السلفية هي تيار ديني يشمل مجموعة متنوعة من المنظمات والجماعات ذات الأفكار السلفية).

فيتّضح من هذين التعبيرين عن السلفية أن الباحثين لم يكن بينهم من يعرِف السلفية أو من هو متخصّص في مجال التيارات الإسلامية تخصّصًا دقيقًا.

فساد النتائج لفساد المنطلَق:

جاء البحث مبنيًّا على عدد من الأغلاط التي لا يمكن بدراسة منطقية أن توصِل إلى النتائج التي توصَّل إليها البحث، ومن ذلك: أن السلفية والوهابية تشتركان في المنهج الديني، إلا أن هناك اختلافاتٍ واضحةً بينهما، وهذا خطأ واضح؛ إذ لا يوجد شيء يُسمى: الوهابية، إلا ما يقوله خصوم الدعوة الإصلاحيّة، وإلا فإن السلفية -أي: اتّباع منهج السلف- هي الحقيقة التي يفرّ منها خصوم السلفية، إذ إن اتّباع منهج السلف هو القيمة التي يطالب السلفيون بها مَن خالفهم من أتباع المناهج الأخرى، ولا يستطيع الآخرون ردَّها كما لا يستطيعون نسبةَ مذاهبهم إلى السّلف؛ لذلك قالوا: (مذهب السلف أعلَم، ومذهب الخَلف أحكَم)، والسلفيون يَذكُرون ويُذكِّرون أن الإحكام والعلم لا يفترقان، فما كان أَعلمَ فهو الأحكمُ والألزمُ والأسلمُ والأنعمُ.

خطأ التفريق بين السلفية ودعوة الشيخ ابن عبد الوهاب:

كان من الغلط الجسيم التفريق بين السلفية ودعوة الشيخ محمد بن

عبد الوهاب، خاصة وأن السلفيين لا يزعمون هذا الزعم، بل يرون أن أتباع الشيخ محمد جزءٌ منهم، إن لم يكونوا يقولون بأنهم من أتباع الشيخ في الجملة، لا سيما والشيخ رحمه الله يُشجّع على الاجتهاد، وهذا يعني أنه لا يرى بأسًا من مخالفته في الفروع الفقهيّة، أما الأصول العقدية فإنه لا يأخذ إلا بما هو محلّ إجماع بين العلماء.

دعوى رفض السلفيين لدليل الإجماع:

والإجماع أيضًا من الأمور التي غلط كاتبو البحث فيها، فقد ذكروا أن السلفيين يرون الإجماع فقط فيما روِي عن العلماء في القرن السابع للميلاد -أي: عصر الصحابة-، بينما يرى غير السلفيين أن المراد بالإجماع إجماع الأئمة الأربعة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديّين، ويعبر الباحثون عن حيرتهم في أيِّ الإجماعَين ينبغي أن يُؤخَذ به؟ ويرونَ أن السلفيين يقدّمون نظرةً مغايرةً للمسلمين، وهذا كلُّه من الغلط البيِّن، الذي لا يقرُّه أيّ عارف بأصول الفقه، سواء أكان سلفيًّا أم غيرَ سلفيّ، ممن ينتسبون إلى مذهب أهل السنة، فالإجماع عند الجميع هو: اتّفاق المجتهدين في عصر من العصور على حكم من الأحكام الشرعية، فالإجماع ليس حَكرًا على عصر معيّن، إلا أنهم لا يجزمون بوقوعه في أيّ عصر سوى العصر الأول؛ حيث محدودية الصحابة والتابعين، والقدرة على حصر الآراء، أما العصور التي بعدهم فغالب الكلام عنها نظريّ، وبذلك لا يمكن أن يكون هناك خلافٌ في حجّيّة الإجماع بين من يسميهم الباحثون: أهل السنة وبين السلفيين.

السلفية والمذاهب الأربعة:

وكذلك المذاهب الأربعة -وهي الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة- التي يُخرج الباحثون السلفيين منها، ويرون أن الفروق التي بينهم فروق غير مؤثرة، وفي هذه النقطة -وهي عدم تأثير هذه الفروق بين أتباع المذاهب- أصاب كاتبو البحث، إلا أنهم جعلوا عدم الانتساب إلى المذاهب هو ما يميّز السلفيين، وهذا غلط؛ فإن كثيرًا من المنتسبين إلى السلفية هم منتسبون إلى أحد المذاهب أيضًا، لا سيَّما من لم يكونوا من كبار العلماء، لكن الانتساب إلى المذاهب ليس فرقًا أبدًا بين السلفيّين وغيرهم؛ لأن المذاهب لا علاقة لها بالانتماء العقديّ؛ إذ إن الانتماء الفقهي لا يجد فيه أصحاب المذاهب فرقًا بينهم، خاصة في عصرنا الحديث، بينما الانتماء العقدي يفرّق بينهم، فهم يقولون: الشافعي مذهبًا الأشعريّ عقيدة، أو: المالكيّ مذهبًا الأشعري عقيدة، أو: الحنفي مذهبا الماتريدي عقيدة، وكذلك بعض السلفيين يقول: حنبلي مذهبا سلفي عقيدة، أو ينتسبون إلى السلف مباشرة في الأمرين فيقولون: سلفي، ويكتفون بها.

المخالفون للإجماع حقيقةً:

كما أن المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي لا يشكّل أيٌّ منهما أيَّ نوع من الإجماع بشهادة الأشاعرة والماتريديّين أنفسهم؛ إذ يحتج السلفيون عليهم في مسائل الخلاف بالإجماع، فيقرّون أن مذهب السلف مخالف لما هم عليه، لكنهم لا يرون أنهم قد خالفوا الإجماع باعتبار أن ما هم عليه تأويلٌ لم يصل إليه السلف، ولم يكونوا بحاجة إليه كي يصلوا له.

دعوى حصر السلفية في الألباني:

وما ذكرتُه قبلَ قليل من كون كاتبي المقال إما غربيّين أو بعيدين عن التخصّص يؤيّده أنهم جعلوا السلفية منتسبةً للشيخ محمد ناصر الدين الألباني دون غيره، أما الشيخ عبد العزيز بن باز وابن عثيمين فهما شخصيّات يُظهر السلفيون الاستناد إلى أفكارهما كي يُخفوا حقيقةَ أنهم يستندون إلى أفكار محمد رشيد رضا، وهذا غلط لا يوجد سبيل لوقوعه إلا كون الباحثين أغرابًا جدًّا عن المنهج السلفي، وكما قدّمتُ فتلك الأغلاط لا يمكن أن تؤدّي إلى النتيجة التي ظهر بها البحث، وهي أن السلفية مُؤيّدة أو مُؤَدِّية للإرهاب، وهناك معلومات صحيحة قدَّمها الباحثون عن السلفية، لكنها لا تذهب بالقارئ إلى ما يُراد أن يذهبَ إليه من تأديَة السلفية إلى العنف، وإنما تذهب به إلى أداء السلفية إلى السلام والاطمئنان، إلا إذا كان القارئ لا يصل إلى النتائج بعقله، وهذا النوع من القراء قليل في وقتنا الحاضر، فالقارئ يراعي الترتيب المنطقيَّ للأفكار، وحين تحيد النتيجة عن المقدمات فإنه يُعْرِض عنها.

مستند السلفيين:

ومن تلك الأفكار قولهم: (فالمسلمين الحقيقيين[1] من وجهة نظرهم هم من يتخذون القرآن والسنة وإجماع السلف مرجعًا وحيدًا لهم). ثم بعد ذلك يقول الباحثون: (ويترافق مع رفض السلفيين للمذاهب الأخرى اتباعُهم نهجًا في غاية الصرامة في التحقّق من صحة الحديث).

---

(١) هكذا قالوا! والصواب إعرابًا: (فالمسلمون الحقيقيون).

فهاتان المعلومتان صحيحتان إلى حدّ كبير، فالسلفيون يتّخذون الكتاب والسنة وإجماع السلف مصدرًا وحيدًا للتشريع، وهم أيضًا أشدُّ الناس دقة في دراسة الأحاديث ونقدها، فمن يعمل بالمنهج السلفي لا يمكن أن يعملَ بحديث وهو يعلم ضَعفَه، وبالتالي فلا يوجد حديث صحيح يحثّ على العدوان وإزهاق الأرواح والخروج عن طاعة الحاكم بالمعروف ولو كان ظالما، بينما يوجد الكثير من الأحاديث الضعيفة وغير الصحيحة تقول ذلك؛ أما الأدلة الأخرى فليست مصادر للتشريع، وأولها القياس، إذ هو دليل شارح ومفسّر، ويستعين به العلماء على الحكم في كثير من النوازل التي لا يوجد فيها بعينها نصّ خاصّ من آيةٍ أو حديث؛ وهذا القياس دليل معتبر من الأدلة الإجمالية، إلا أنه غير مستقلٍّ وحدَه كالكتاب والسنة والإجماع، وكذلك بقيَّة الأدلة كالاستصحاب وسدّ الذرائع وقول الصحابيّ، فهي كالقياس أدلَّة لا تستقلَّ بنفسها، والسلفيون يأخذون بها، بل إنّ بعض هذه الأدلّة تَركَها أتباع سائر المذاهب، وما زال السلفيون متمسّكين به؛ كدليل سدّ الذرائع، فهو دليل غيرُ مستقلّ عن الكتاب والسنة، يأخذ السلفيّون به في تحريم التوسّل بالذات والجاه، إضافةً إلى عدم وجود دليل يجيزه من القرآن والسنة؛ إذن فالقول بأن السلفيين يأخذون بالسنة ويتشدَّدون في اختيارها معلومة صحيحة عن السلفيين، وهي لا تخدم فكرةَ كون مذهبِهم يوصِل إلى التطرُّف.

السلفية وتنظيم داعش:

ومن الأفكار الواردة في البحث قولهم: (ومع أن السلفية قد لا تؤدِّي بالضرورة إلى ارتكاب أعمال عنف مسلَّح، إلا أنها قد تقود إلى ذلك في بعض

الأحيان، وأبرز مثال على ذلك تنظيم داعش، لكن لا بد من القول بأن هناك العديدَ من العوامل غير المرتبطة بالدّين كانت وراء ظهور تنظيم داعش).

وهذه الفكرة وإن لم تكن صوابًا بالكامل، فإنها تحول بين القارئ وبين النتيجة التي وضعها الباحثون، إذ يقول القارئ: بما أنّ هناك عواملَ دنيويةً عديدة أسهمت في ظهور العنف الداعشيّ، فلماذا لا تكون هي محلَّ البحث وليس السلفية، لا سيما وقد قال الباحثون: (وغالبًا ما تكون العوامل الأخرى المرافقة لذلك أكثر أهمية لدرجة أنها قد تلغي العوامل الدينية والأيديولوجية). فبما أنَّ العوامل الأخرى قد تُلغي العوامل الدينية، فهِي أهمُّ مِن عامل السلفية وأجدر بالنقاش والبحث، ولماذا لا تُناقش؟! هكذا سيقول القارئ.

السلفية وعجلة التطوّر:

ولن يحُدّ من هذا التساؤل أو يُضعفَ من قيمتِه قولُ الباحثين: (وعلى الرغم مما سبق يمكن للسلفية دون غيرها من المذاهب أن تساهم في ظهور العنف المتطرّف... وحتى عندما لا تساهم السلفية في ظهور العنف المتطرف، فإنها قد تشكّل عقبةً أمام بعض الأهداف التنمويّة، فعلى سبيل المثال: عندما تحاول الدوَل تحسين تعليم الإناث وتشجيع توظيفهن لا يلقى ذلك أيَّ دعم من السلفية).

فالسلفية في نظر الباحثين قد تكون وقد لا تكون، وحتى عندما لا تكون فإنها سوف تكون، هذا هو الجواب الذي نراه أمامنا في هذا البحث، فأما أنها قد تودّي إلى حركات عنف، فهذه ليست نتيجة؛ لأنّ الكل قد يودّي إلى ذلك، حتى العلمانية التي يوصي بها الباحثون قد تؤدّي إلى العنف، ولا ننسى أن الحربَين

العالميتَين قامتا بين دول علمانيّة، وكذلك في العالم الإسلامي وُجدت الحروب بين دول وبين فئات ليست سلفية، فكون السلفية قد تؤدّي فذلك أمر عائد لوجود عوامل ومؤثرات أخَر تُخرِج السلفيةَ من التهمة كما في داعش، إذ يتذكر الجميع إيميلات هيلاري كلينتون وما ضُبِط فيها من دعمٍ لداعش، وكذلك القاعدة وما جاء عنها من معلومات تفيد دعمَ جهات استخباراتيّة لها، لكننا لن نقف عند هذا، بل عند عدَد الدواعش وأتباع القاعِدة، وصحة نسبتهم إلى السلفية، إذ لا يوجد بينهم إلا القليل من طلبة العلم الشرعيّ، أما البقية فهم أناس منكوبون يريدون الثأر، أو مرضى نفسيّون، أو معارضون وجدوا لهم ما زعموا أنه مأمنٌ لهم، فهؤلاء هم الدواعش، ولا يمكن أن يخرج أمثال الدواعش في بيئة سلفية صحيحة؛ لا سيما والسلفيون -كما أدرك الباحثون- يقومون بالتعليم بشكل ممتاز، وأتباع السلفية يبحثون عن أعماق العلم الشرعيّ، وليس الوقوف على ضفافه، وأنهم أكثر قُدرة على المناظرة لصالح مذهبهم؛ لما يقومون به من الاستدلال الصحيح من الكتاب والسنة، وهذه الأمور قد ذكرها الباحثون، وهي تمنع من خروج أمثال داعش من مجتمعات سلفيّة صحيحة البناء، أي: مبنية على المصادر الصحيحة وأقوال العلماء الكبار، وليس المتعالمين أو ضعاف العلم الذين كما يقول السلفيون: (تزبَّبوا قبل أن يتحصرَموا) أي: أصبحوا زبيبًا قبل أن يكونوا حَصرمًا، أي: قبل أن يصبح عِنَبًا طيّبًا زكيًّا.

الألباني والعنف الديني:

وحتى الشيخ الألباني الذي توهَّم الباحثون أن أفكاره وراءَ قيام حركة

جهيمان في الحرم المكي سنة ١٩٧٩م هو مِن أبعد الناس عن العنف، وله في ذلك آراء قد تُعجب الصهاينةَ؛ كرأيه بوجوب الهجرة من فلسطين، وكذلك رأيُه في القتال في الشيشان، ورأيه في العمليات الانتحارية التي تُسمى عند الحركات القتالية غير السلفية: عمليات استشهاديّة، كما أن من قام بحركة جهيمان ليس لهم أيّ علاقة بالشيخ الألباني كما تشهد بذلك مذكِّرات الذين كانوا ضمنَ هذه الحركة وخرجوا من السجن، إضافة إلى أن الشيخ رحمه الله تلقّى جائزة الملك فيصل سنة ١٤١٩هـ، كما أنه قَبلَ ذلك وبعدَ خروجه من الجامعة الإسلامية طَلَبت منه وزارةُ التعليم العالي العملَ في قسم الدراسات العليا في مكة بجامعة الملك عبد العزيز آنئذٍ، أي: سنة ١٣٨٨هـ، فالتّحقيقات التي قامت بها الجهات الأمنية لم تُدِنِ الألبانيَّ بشيء، كما أنَّ نهاية عمل الشيخ الألباني في الجامعة الإسلامية كانت قبل أَحداث الحرم المكّيّ الشريف بسبع سنوات، ولم يُقِم في المدينة سوى ثلاثِ سنين من عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٨٣هـ، ومن قام بذلك العمل ليس بينهم وبين الألباني أيُّ علاقة.

كما أنه لا تُعرف علاقة بين علماء الدعوة السلفية وبين أيٍّ من الجماعات الخارِجَة كداعش والقاعدة.

وحين يجد الباحثون وجهًا واحدًا للشَّبَه بين الشيخ الألباني والجماعات المتطرفة فلا يعني ذلك أنّ هذا الوجه سببٌ في كون السلفية وراءَ جماعات العنف، إذ إن هذا الوجه لا يُشكّل جامعًا بينهم بقدر ما يشكّل نقطة افتراق، فالباحثون يرونَ عدمَ مذهبيّة الشيخ الألباني، أي: عدم انتمائه إلى أحد المذاهب الأربعة، وكذلك عدم مذهبية أتباع الجماعات المتطرّفة مسوِّغًا لقولهم بكون

السلفية وراء ما نجَم عن هذه الجماعات من تطرُّف، والحقيقةُ أنّ عدم مذهبية الشيخ راجعة إلى غَزارة عِلمه، كما كان الشيخ ابن باز غيرَ مذهبيّ، وكذلك الشيخ ابن عثيمين، وهذان معلومٌ عنهما أنهما لا يستنكران التمذهُب أو الالتزام بقول شيخ معيّن لمن لم يكن من أهل العلم، أو نال من العلم قدرًا لا يستطيع معه الاجتهاد، أما الجماعات المتطرّفة فقد تزعم عدمَ التمذهب مع ضعفِ من فيها من الرجال علميًّا؛ كما أن وضع الشيخ الألباني في خانة التطرّف سوف يُلقي بالبحث إلى الهاوية عند من يقرؤه، ممن يعرفون حقيقةَ الشيخ الألباني وحقيقةَ دَعوتِه ومواقِفِه من الحركات والثوراتِ والجماعات.

انتشار السلفية هل له علاقة بالعنف؟

ثم ينصرف البحث إلى الحديث عن تفسير انتشار السلفية، وهو عنصر لم يكن مُهمًّا في مسألة كون السلفية وراء العنف، لكنَّ الباحثين جعلوه كذلك، إلا أنهم لم يقدّموا تفسيرًا مقنعًا يصلون به إلى هذه النتيجة، فقد نقلوا بعض التفسيرات التي أدلى بها باحثون غربيّون مثل بساطة السلفية، وهو تفسير ممتاز لانتشار السلفية في العالم، خاصّةً وأن الناس قد ملَّت من التعقيدات التي لدى التوجّهات الأخرى؛ كالتوجه الصوفي الذي يجعل بينك وبين الله تعالى وسائطَ تسألهم وتستغيثهم وتستشفع بهم من هول يوم القيامة، وهم أموات لا يدركون ما أنت عليه، بل لا تدرك أنتَ إن كان هؤلاء الأموات الذين تسألهم ماتوا صالحين أم غيرَ ذلك، وكثيرًا ما كُشفت قبور بعض من يسمَّون أولياء، فلم يجدوا فيها شيئًا، أي: أنها بُنيت على الخرافة، وربما الرغبة في الاحتيال، وبعضها كشف فوجد فيه رأس حمار، وبعضها رأس عجل. فالمنهج السلفي

يريحك من كل هذا، ويأمرك بدعاء الله وحده، فهو يسمعك أينما كنت، وعلى أي حال كنت، وهو قريب مجيب كما وصف نفسه عز وجل بذلك حين قال: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]، وحرَّم سبحانه دعاء غيره وسؤالَه من الأمور ما لا يُسألُه إلا الله تعالى، فقال: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا) [الجن: ١٨]. وهذا اليسر وهذه السهولة تقترن بالتعظيم الكبير لله تعالى وإجلاله، فهو يسمع كلَّ صوت، ويعلَم خائنة الأعين وما تخفِي الصدور، وإله عظيم -وهو الله تعالى- لا يقبل مطلقًا أن يُدخل الإنسانُ بينه وبينه كائنًا آخرَ.

السلفية في المجتمعات الغربيّة:

ونقل الباحثون تفسيرًا وهو أن السلفية تناسب للعيش في مجتمع علماني كالمجتمع الأوروبي، لكنها في ذلك تدعو أو تضطرّ صاحبها للانعزال، وهذا الأمر صحيح، فالسلفيّ الأوروبي ليس في حاجة إلا إلى الله تعالى، فهو يعمل ويُنهي واجباته التي كلّفه الله تعالى بها دون أن يبالغ في الاختلاط بمجتمع لا يؤمن بجميع الواجبات التي افترضها الله عليه؛ لكن ما الغرابة في ذلك والمجتمعات الأوروبية جميعها تميل إلى العزلة، لكن لأسباب أخرَ تختلف كلّيًّا عن الأسباب التي تدعو السلفيَّ للاعتزال؟! فوجود سلفيّين يؤثِرون العزلةَ لن يضير المجتمعات الأوروبية في شيء.

انتشار التعليم السلفي هل له علاقة بالعنف؟

ومن التفسيرات أيضًا: كون السلفية تسعى إلى تعليم الناس كل شيء، وتكثر من عقد مجالس العلم لجميع الناس، وهذا الأمر على فرض صحّته وانفراد

السلفيين به لا يصلح أن يكون سببًا للتطرف، والباحثون لم يقولوا ذلك، لكن القارئ سوف يشعر بقصدهم من النتيجة التي وصلوا إليها.

وقد أوصى الباحثون بدعم الجماعات الأخرى كي تستطيع الوصول إلى ما وصل إليه السلفيون من دعم الدرس العلمي، ولكن الحقيقة أنهم لن يصلوا إلى ما وصل إليه السلفيون، إلا إذا بلغ حبّ الناس لتلك المناهج ما بلغه السلفيون من حبهم لمنهجهم، كما أن غير السلفيين لا يستطيعون أن يدرِّسوا إلا الجانب الموافق للسلفية من منهجهم، أما المخالف للسلفية فإن تدريسه أمر صعب جدًّا، ويفتح عليهم باب الأسئلة المغلَقة، تلك الأسئلة التي يجيب عنها السلفيون بوضوح وبشكل يسير سَهل، أما المخالفون فإن ذلك يقتضي منهم تأويلًا للقرآن بشكل لا تحتمله لغتُه، ولا يَقبَله ذهنُ السامع، وذلك كثير في المخالفات الشرعية.

دعوى لجوء السلفية للتأويل:

وقد زعم الباحثون أن الجميع من السلفيين وغير السلفيين يستخدمون التأويل في القرآن الكريم، وأن تلك التأويلات ليس بينها فرق في صعوبتها؛ وهذا القول غلَط واضح؛ لأن التأويل بمعنى التفسير -وهو الشرح اللغوي للقرآن- يستخدمه السلفيّون، ولا يستطيع غيرهم استخدامه في الأمور المختلفة بينهم كمسائل صفات الله تعالى والتوسل بالمخلوقات والاستغاثة بها، لذلك يلجأ غير السلفيين إلى مخالفة اللغة في أكثر الأحيان، وادعاء المجاز وادعاء أدلة أخرى غير القرآن والسنة كالتجربة والكشف والذوق والرؤى والعقل، وهي التأويلات التي ليس لها مكان صحيح في أصول الفقه، وهو العلم الذي يستخدم

للوصول إلى أدلة الشرع، إذ نجد غير السلفيين يوافقون أصول الفقه في أمور العبادات المعروفة، لكنهم يخالفون الأصوليين حين يستدلون لعقائدهم الفاسدة؛ وعلى كل حال فذلك كله أيضًا لا يمكن أن يكون دليلًا على عنف المنهج السلفي أو أنه منهج سوف يؤدّي إلى العنف.

دعوى شَبَه السلفية بشهود يَهوَه:

وكذلك مما يحول دون وصول الباحثين إلى النتيجة التي جعلوها لهم -أي: النتيجة التي وضعوها للبحث قبل البدء فيه- أنهم شبَّهوا السلفية بمؤسسة شهود يهوه المسيحية، وهي مؤسسة ذات نوادٍ وتنظيم لا يعرفه السلفيّون، وكذلك هي منظمة ليست إلى جانب العنف، ومسموحٌ بها في كثير من بلدان العالم، ولم نسمع أحدًا اتَّهمها، وليس كلامي هذا تقريرًا لهذه المؤسسة، لكنه بحث في أوجه الشبه، فعلى الباحثين إثباتُ أن لهذه المؤسسة وجهًا عنيفًا، وبعد ذلك يحاولون مقارنتها بالسلفية بإثبات الوجه العنيف للسلفية وفق زعمهم.

تعريف السلفية:

بالطبع، هناك بعض الأشياء في البحث لا نجد الحاجة لذكرها ماسّةً، لذلك سوف ننصرف عن صلب البحث إلى كشف الحقائق التي اختفت عن كاتبيه وأولها تعريف السلفية:

فالسلفية هي: اتباع منهج الصحابة والتابعين في فهم الإسلام، دون زيادة على جاء به رسول الله ﷺ ودون نقص منه. والأصل أن لا تَتَّخذ لها هذا الاسم؛ لأن في اسمِ الإسلام غُنيةً عن كل اسمٍ، وهو اسم قد سمانا به إبراهيم عليه

الصلاة والسلام كما في قول الله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا) [الحج: ٧٨]، ولكن الإسلام كثرت الفرق فيه، فأصبح التباس الانتماء يترصَّد بمن لا ينتمي إلا إليه، فجاء مصطلح السنة والجماعة، ولكنه هو الآخر تضمَّن كثيرًا من أهل البدع كالصوفية الذين يصرّون على الانتساب إليه مع بعدٍ كثير منهم عنه، فجاء مصطلح السلفية ليتميّز به هؤلاء، وهم من يتبع السنة حقيقَةً، وبعيدًا عن أي تأويلات أو مخالفات.

نعم، حدث بين السَّلفيين عدد من الانشقاقات، ومع ذلك فإنك حين تفتِّش كل طرف منهم لا تجد عنده إلا اتباع السلف أصلًا يعتمِد عليه، لذلك نجد أن رأب الصدع بينهم ممكن جدًّا، لا سيما وليس بينهم من العلماء -أي: من العلماء الراسخين-، وإنما هم أناس خالفوا العلماءَ نتيجة شَطَط في التوجّه السياسيّ، كما أنهم غير المخالفين في أن الأصل هو طاعة ولاة الأمر وإن اشتطّوا فيها سلبًا أو إيجابًا.

وأما داعش والقاعدة -وقبلها حركة جهيمان- وكذلك المنظّرون لهما كعمر عبد الرحمن المقدسي وأبي قتادة وغيرهم ممن لم يذكرهم الباحثون، فلا يمكن وصفهم بالسلفيّين، وإن كانوا يرجعون إلى كتب سلفية كُتبت في عصور سابقة وفي ظروف تختلف عما نحن فيه اليوم، لكنهم يختلفون عن علماء السلفية في قضايا مهمّة، منها: طاعة ولاة الأمر، وتكفير المعين، واستباحة الدماء المعصومة، وعلاقة الدول المسلمة مع غير المسلمين، وخروج المسلم من الإسلام شروطه وضوابطه، هذه أهم نقاط الاختلاف بين السلفية وتلك الجماعات، أما موقفهم في الأسماء والصفات فلم يصرّحوا به في تلك الفترة

التي عاشوا فيها، وأقول: في تلك الفترة، لأنّ حياتهم كانت إلى أمدٍ محدود، وقد أظهرتهما أجهزة مخابرات معيَّنة، استفادت من وجودهم فوائدَ جمّة، لا تخفى على المتابع، ومن رصد مشيخاتهم فإنه لن يجد لهم شيخًا واحدًا من أهل العلم، أي: أنهم جماعات من الجهّال أو الطموحين سياسيًّا أو المأزومين نفسيًّا، بدليل انقطاعهم بالكلّيّة حين أرادت ذلك الجهةُ التي أظهرتهم، وبذلك نعلم أن تصنيفَهم ضمنَ السلفيين إنما يدلّ على جهل الباحثين بحقيقة السلفيّة وما نتج عنها.

السلفية والتحديات الإعلامية:

والحقيقة أن السلفية في وقتنا الراهن تواجه مشكلةً إعلامية كبرى، حيث تنصبّ عليها الكثير من المواجهات من داخل العالم الإسلامي وخارجه، وهذا الانصباب نتيجة دعم أجنبيّ للتصوّف والمذاهب المنحرفة، ظهر لنا من كلمات عدد من الصوفية في سوريا والسودان ومصر والمغرب، كما ظهر لنا من حجم الدراسات الغربية عن السلفية في وقت واحد، وجميعها توصِي بما يوصي به الباحثون هنا. وإذا استثنينا جهل الباحثين أو عجلتَهم في الدراسة أو ضعف مصادرهم أو أي عذر لهم في عدم استيفاء الموضوع، إذا استثنينا ذلك ورجعنا إلى الناحية المصلحيّة للدول الغربية، فسوف نجد أن الثورة على الاستعمار الغربيّ لم تكن إلا حين وُجدت السلفية، وكان القائمون ضدَّ الاستعمار هم السلفيون وحدهم، فثورة عبد القادر الجزائري وثورة عبد الكريم الخطيب في المغرب وثورة عبد السلام بن باديس وثورة شاه ولي الله الدهلوي في الهند، هذه الثورات لم تقم إلا حيث يوجد السلفيّون، ونستطيع أن نضمّ إليها ثورة الريسوني

في المغرب، فكلها كانت بمبادئ سلفيّة، وحين ظهر السلفيون وبدؤوا في الانتشار، وهذا يعني أن السلفية سوف تقِف في وجه الاستعمار القادم أو ما يشبه هذا الاستعمار، ويراد إعداد العالم الإسلامي لتقبّله دون ثورات كما تقبَّله قبل أن تظهر المبادئ السلفية في وقت سابق في العالم العربي والإسلامي، وهذا أمر وحده يبعث على القَلق، ويجعل الدول العربية والإسلامية في حاجة إلى تنمية المنهج السلفي الصحيح وفق خطّة مدروسة، وأن يستفيدوا من تجربة المملكة العربية السابقة حين لم تراعِ مشروع الإخوان المسلمين، وظنَّت أن الدولة السعودية لن تكون ضمن حدود هذا المشروع، ولكنها اكتشفت في نهاية الأمر ما كان يخطِّط له دهاقنتهم مما شوَّه السلفية، وأظهر بين بعض أفرادها تكفيرًا سبقهم به قادة الإخوان، وليست السلفية من جاء به.

ختامًا، نسأله تعالى أن يجعل ما نكتبه وما ننشره خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.